

ما هي الخيارات التي وَضَعَتْها السُّعُودِيَّةُ أمام الحريري ولَمْ يَسْتَطِعْ رَفْضَهَا؟

ولماذا جاءَ خطاب السيد نصر الله اليوم مَيْسَلاً للتهنئة وتبديد مَخاوف الشّاعر؟ وهل تُحضر السعديّة "عاصفة حزم" جديدة ضدّ لبنان؟ وهل ستُشارك مصر فيها؟

الأسئلة التي تتردد على لسان اللبنانيين، كل اللبنانيين، هذه الأيام، وبعد الاستقالة المفاجئة للسيد سعد الحريري، هو عمّا إذا كانت الحرب على بلدّهم وشيكّة؟ ومن الذي سيُشغل فَتيلها؟ وما هي النتائج التي يمكن أن تترتب عليها؟ وكم من الأبرياء سيَستشهد فيها؟ هذه الأسئلة، التي تعكس حالةً من القلق والذُوف مما هو قادم كانت السبب الرئيسي الذي دفع السيد حسن نصر الله، أمين عام حزب الله اللبناني، إلى المُسارعة بـإلقاء خطاب مساء اليوم (الأحد) لطمأنة اللبنانيين وتهديء مخاوفهم، مع تَجذّب في الوقت نفسه أيّ محاولة لتهييجهم وتعبيتهم سياسياً ونفسياً، مثلاً جَرت العادة في مُعظم خطاباته الأخيرة.

السيد رياض سلامة حاكم مَصرف لبنان المركزي، سَبق السيد نصر الله في اتباع النهج نفسه، أي التهدئة، وتَبَدِيد المخاوف، عندما أصدر بياناً يُؤكّد فيه على استقرار الليرة اللبنانيّة، وعدم وجود أيّ أسبابٍ يُمكّن أن تُؤدّي إلى غير ذلك.

لم ينفِ السيد نصر الله وجود خطّةٍ سعوديةٍ للهجوم على لبنان في طَلِيلٍ ما وَصفه بأزمةٍ داخليةٍ تعيشها تمثّلت في اعتقال العديد من الأُمراء والوزراء ورجال الأعمال بتهمة الفساد، لكنّه شكّل في إمكانية تنفيذ هذا الهجوم لأنّه لا توجد حدود مُشتركة بين السعودية ولبنان، إلا إذا جاءت القوات السعودية عبر الأراضي الفلسطينية المحتلة، واستطردَ في القول بأنّ إسرائيل لا يمكن أن تشن حرباً على لبنان بطلبٍ سعوديٍ، وإنّما يطلبُ أمريكي أو وفقاً لمصالحها.

التّرجّب الإسرائيلي العَلَى باستقالة السيد الحريري ربّما يعكس تحليلًا آخر، وهو أنّ الأمر عندما

يَتَعْلَقُ بِمُواجِهَةٍ "حَزْبٍ اَّمَّا، وَمُحاوَلَةٍ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ وَاجْتِنَاثِهِ وَجُودِيَّاً، فَإِنَّ التَّنْسِيقَ مُمْكِنٌ، سَوَاءً بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ، أَوْ بِعِرْضِ الْمِظَلَّةِ الْأَمْرِيَكِيَّةِ الْمُشْتَرِكةِ الَّتِي يَسْتَطُلُّ بِهَا، وَحِمَايَتِهَا الطَّرْفَانُ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ بِأَنَّ الْمُمْلَكَةَ أَيَّدَتْ عَلَيْهَا الْهُجُومَ الإِسْرَائِيلِيَّ عَلَى "حَزْبٍ اَّمَّا" عَامَ 2006، وَجَهَتْ الدَّوْمَ إِلَى الْآخِيرِ فِي تَوْفِيرِ الْمُبَرَّرَاتِ لَهُ، وَدَعَتْهُ لِتَحْمِيلِ النَّتَائِجِ.

الْسَّيِّدُ الْحَرِيرِيُّ اسْتِقَالَ بِقَرْرَارٍ أَمْرِيَّكِيٍّ، وَتَنْفِيذِهِ سَعُودِيٌّ، وَفِي تَقْدِيرِنَا أَنَّهُ جَرِيَ وَصَعُونَهُ أَمَامَ خَيَارِينَ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، الْاسْتِقَالَةُ أَوِ السَّجْنُ، مُهَاجِفًا إِلَى ذَلِكَ أَنْ خَيَارَ الْعَوْدَةِ إِلَى لَبَنَانَ كَانَ مُسْتَبِعًا، فَطَالَمَا دَخَلَ الْأَرْضَيِّ السَّعُودِيَّةِ الَّتِي يَحْمِلُ جَنْسِيَّتَهَا، لَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِالْمُغَادِرَةِ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمْيَرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَانَ شَخْصِيًّا، الْحَاكِمُ الْفَاعِلُ فِي الْبَلَادِ، فَهُوَ لَيْسَ أَهْمَمُ مِنْ الْأَمْيَرِ مُتَعَبِّ بْنِ عَبْدِ اَمَّا، الَّذِي جَرَيَ إِبْعَادُهُ مِنْ قِيَادَةِ الْحَرْسِ الْوَطَنِيِّ، وَاقْتِيَادُهُ إِلَى السَّجْنِ، أَوْ مِنْ الْأَمْيَرِ الْوَلِيدِ بْنِ طَلَالِ، الَّذِي لَمْ تَحْمِيهِ صِلَّةُ الْقَرَابَةِ وَالدَّمْمِ، أَوْ 26 مِلِيَارًا فِي أَرْصُدِهِ، مِنْ مُواجِهَةِ الْمَصِيرِ نَفْسِهِ، فَمَا يَجْرِي فِي السَّعُودِيَّةِ حَالِيًّا غَيْرُ مَسْبُوقٍ.

وَمِنْ هُنَّا فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ انتِظَارَ الرَّئِيسِ الْلَّبَنَانِيِّ مِيشِيلَ عَوْنَ لِعَوْدَةِ الْسَّيِّدِ الْحَرِيرِيِّ إِلَى بَيْرُوتِهِ حَتَّى يَسْمَعَ مِنْهُ عَنْ طُرُوفِ اسْتِقَالَتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْيَتِ فِيهَا، سَيْطَرَوْلُ جَدِّيًّا، وَإِذَا قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَلْتَقِيهِ، فَرِبَّمَا فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا زَجَّتْ "عَاصِفَةُ الْحَزْمِ" السَّعُودِيَّةِ الَّتِي تَتَداوِلُ حَالِيًّا مَدْلُونَ لَبَنَانَ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، وَتَغْيِيرِ النَّظَامِ، وَعَوْدَةِ الْسَّيِّدِ الْحَرِيرِيِّ إِلَى بَيْرُوتِ رَافِعًا إِشَارَةَ النَّمْرِ إِلَى جَانِبِ الْأَمْيَرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَانَ، وَهَذَا أَمْرٌ آخِرٌ.

لَا زَسْتَبِعُ أَنْ نُشَاهِدَ الْسَّيِّدِ الْحَرِيرِيِّ مَاثِلًا أَمَامَ الْقَضَاءِ السَّعُودِيِّ بِبِزَّةِ السَّجْنِ الْزَّرْقَاءِ، بَدْءُهُمُ الْفَسَادِ، فَلَا أَحَدُ مِنَ الَّذِينَ تَعَاطَوْا مَعَ الْعَطَاءَاتِ وَالْأَعْمَالِ فِي السَّعُودِيَّةِ بِرِيءٍ مِنْ هَذِهِ التَّهْمَةِ إِلَّا مَا زَدَرَ، حَسْبَ قَوَانِينِ لِجَنَّةِ الْفَسَادِ، إِلَى جَانِبِهِ أَنْ هُنَّاكَ خَلَافَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْحُكُومَةِ السَّعُودِيَّةِ، فَمُعْظَمُ الَّذِينَ حَصَلُوا عَلَى عَطَاءَاتٍ أَوْ فَازُوا بِمُنَاقِصَاتٍ قَدَّمُوا رِشاوِيًّا، سَوَاءً لِلْأُمَّرَاءِ أَوِ الْلُّوَزَرَاءِ أَوِ الْكِبارِ الْمَسْؤُولِيَّنِ، أَوْ حَتَّى بَعْضِ الْقُوَّاتِ، أَوِ النَّسْبَةِ الأَكْبَرِ مِنْهُمْ، وَالْأَمْرُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الذَّكَاءِ، مَضَا إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْقَضَاءَ فِي السَّعُودِيَّةِ لَا يَتَمَتَّعُ بِالْاسْتِقْلَالِ الْكَاملِ.

لَبَنَانٌ مُقْدَمٌ عَلَى عِدَّةِ حُرُوبٍ، وَلَيْسَ حَرَبًا وَاحِدَةً، حُرُوبُ اقْتِصَادِيَّةٍ، وَأُخْرَى أَمْنِيَّةٍ، وَنَالَتْ عَسْكَرِيَّةٍ، وَرَابِعَةٌ نَفْسِيَّةٌ، وَتَرَجَّبَ السَّيِّدِ نَصَرٍ اَمَّا الْحَدِيثُ عَنْهَا، اِنْطَلَاقًا مِنْ حِكْمَةِ التَّهْدِيَّةِ، لَا يَجْعَلُنَا، وَغَيْرَنَا، نَقْفَزُ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ، مُنْفَرِدةً أَوْ مُجَتمِعَةً، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ نَجْزِمَ بِهِ أَنَّهَا، أَيْ هَذِهِ الْحُرُوبِ، لَنْ تَكُونَ فِي مَعْلِحةِ الطَّرْفِ، أَوِ الْأَطْرَافِ، الَّتِي سُتُّشَعلُ فَتِيلَهَا.

سِيَّدَةُ بِرِيَطَانِيَّةٍ وَجَهَتْ إِلَيْهِ سُؤَالُ طُهُورِ الْيَوْمِ فِي أَعْقَابِ مُشَارِكتِيِّ بِمُحَاضَرَةِ عَنِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَقَضايَاهُ فِي إِطَارِ مَهْرَجَانِ الْمَفَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ لِلْلَّندَنِ Festival Bank South، كَانَ عَلَى درَجَةِ كِبِيرَةٍ مِنَ الْأَهمِيَّةِ، وَهُوَ عَنِ الْمَوْقِفِ الَّذِي سَتَّنَّهُ مَصْرُ فِي حَالِ اِنْدَلَاعِ الْحَرْبِ الْثَّالِثِ فِي لَبَنَانٍ ضَدَّ "حَزْبٍ اَّمَّا"، أَوْ إِيرَانَ؟

السؤال كان على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية، وأربكني كثيراً، لأنني لا أملك إجابةً قاطعةً ورسميةً حَوله، لأن مصر أكدت أكثر من مرّة، وعلى لسان كبار المسؤولين فيها، بأرّها لن تُرسل قوّات مصرية للقتال خارج أراضيها، لأن الجيش المصري للدّفاع عن أرض مصر ومصالحها فقط، وما يُرجّح هذه المَسْأَلة عدم موافقة الرئيس عبد الفتاح السيسي، ورغم الضغوط السعودية والإماراتية المُشاركة في "عاصفة الحزم" في الْيَمِن، سواء بطائراتٍ أو قوّات، ولا نعتقد أن الانخراط في حربٍ ضد حزب الله وإيران يَخدم المصالح المصرية، ولكن هذا الرفض ربما لا يَنطبق على أيٍّ - حربٍ يشنها التحالف الرّباعي، الذي تشكّل مصر عُضواً بارزاً فيه ضد قطر، لأن الظروف والأسباب مُختلفة، وليس هذا مَكان شرحها.

\*\*\*

عاصفة "الحزم" السعودية الجديدة ضد "حزب الله" وإيران قد تكون في مرحلة "التدّكين" أو "التأسيس"، واتصالات تَجري في هذا الإطار مع أكثر من طرفٍ عربي، وبضمٍّ غوطٍ أمريكية، مثل الأردن والمغرب، ومصر والسودان، إلى جانب نُواتها الأصلية، أي السعودية والإمارات والبحرين، وربما من السابق لأوانه الحديث عن مَواقف تلك الدول وردودها سَلبياً وإيجاباً، رغم المُغريات المالية الضّخمة.

السعودية التي نَعرفها اليوم غير السعودية التي عَرَفناها على مدى 80 عاماً، فهل سَيكون حظ عاصفة "حزب الله" و"إيران" و"سوريا" أفضل من نَظيرتها في الْيَمِن؟ لدينا شُوك، وليس لدينا إجابات، فالأخمور ما زالت في بداياتها، والأسلم هو الانتظار في مثل هذه الحالات، وهو لن يَطول في جَميع الأحوال.